The Religious Reform movement in Europe and its most famous pioneers

Dr. Ayman Salat*
Atef khozama**

(Received 4 / 10 / 2024. Accepted 12 / 11 / 2024)

□ ABSTRACT □

The reformation movement in Europe did not occur suddrenly, Rather the catholic church was subjected to several reform movementes over the previous centuries, but it was going through them peacefully until the sixtieenth century AD came when the papacy lost its prestige, the popes became agroup that owned and collected money and cared about it more than they cared about the affaires of the church, as it became their own interests, and the interests of their relatives and those in whom they seek refuge have also become their concerns to a greater extent than matters of doctrine and the catholic church, which prompted thinkers and reformers to research the conditions of the catholic church and the necessity of reforming itself on its own from the inside, and in the event that it is unable toreform internally, reform is imposed on it from the outside, and it must accept that, despite what is imposed, one of the means of reform since it was not able to do so on its own.

The religious revolution began in Germany because the philosophy of theology and religious beliefs were more firmly established there than in Italy, where the headquarters of the papacy was.

Key words: Reformation, Pope, Reformers, Italy.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

***Associate Professor, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria**
****** PhD Student, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria**

حركة الإصلاح الديني في أوروبا وأشهر روادها

د. أيمن صلاط*

عاطف خزامة**

(تاريخ الإيداع 4 / 10 / 2024. قبل للنشر في 12 / 11 / 2024)

□ ملخّص □

لم تحدث حركة الإصلاح الديني في أوروبا بشكل مفاجئ، بل تعرضت الكنيسة الكاثوليكية لعدة حركات لإصلاحها عبر قرون سابقة، ولكنها كانت تجتازها بسلام، حتى جاء القرن السادس عشر الميلادي عندما فقدت البابوية هيبتها، فقد أصبح الباباوات جماعة يمتلكون المال ويجمعونه ويهتمون به أكثر مما تهمهم أمور الكنيسة، كما أصبحت مصالحهم الخاصة ومصالح أقاربهم ومن يلوذ بهم تهمهم بصورة أكبر من أمور العقيدة والكنيسة الكاثوليكية، مما دفع المفكرين والمصلحين للبحث في أوضاع الكنيسة الكاثوليكية، وضرورة إصلاح نفسها بنفسها من الداخل، وفي حال عدم قدرتها على الإصلاح الداخلي، فيفرض عليها الإصلاح من الخارج وعليها أن تقبل بذلك مرغمة ما يفرض عليها من وسائل الإصلاح طالما لم تستطع أن تفعل ذلك بنفسها، وقد بدأت الثورة الدينية من ألمانيا بسبب ترسخ فلسفة اللاهوت والمعتقدات الدينية فيها أرسخ من إيطاليا والتي فيها مقر البابوية.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح الديني، البابا، المصلحين، إيطاليا.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ مساعد- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

** **طالب دكتوراه- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

مقدمة:

"تتناول هذه الدراسة الأسباب والتداعيات التي أدت إلى ظهور حركة الإصلاح الديني في أوروبا، وتسعى لفهم مدى تأثير هذه الحركة على المجتمع الأوروبي من نواحٍ مختلفة. تنبع أهمية هذا البحث من دراسة تأثير الإصلاح على تشكيل الهوية الأوروبية الحديثة، كما يشير (Carlos M. N. Eire 2016) إلى ذلك في كتابه " Reformation: Global Perspectives"، فحركة الإصلاح الديني في أوروبا تعد من أهم الحركات، فقد مزقت وحدة الشعوب الأوروبية من الناحية الدينية، كما أدت إلى ظهور مذاهب جديدة أثرت في السياسة الأوروبية والدولية على حد سواء، هذه المذاهب الجديدة أظهرت ضعف المجتمع الأوروبي، الذي حافظت عليه الكنيسة البابوية الكاثوليكية منذ العصور الوسطى، مما أدى إلى انتشار الحروب الأهلية وإراقة الدماء الأوروبية، وقد ترتب على انتشار حركة الإصلاح الديني خروج أكثر من نصف سكان أوروبا الغربية عن سلطة الكنيسة البابوية بعد أن كانت تدين لها بالولاء وخاضعة لسيطرتها لقرون عديدة، ورأى الأوروبيون المفاسد التي ظهرت في الكنيسة التي تحولت لجمع المال من الكنائس المنتشرة في أوروبا، وتحول قصر البابا في روما إلى قصر أمير علماني ظهرت فيه المفاسد الدنيوية والرذيلة بدلاً من الإيمان، واهتم رجال الدين بالسياسة ومصالحهم الشخصية والأسرية على حساب الدعوة الدينية، وعدم تطبيق تعاليم الدين المسيحي والكتاب المقدس ودخول البابا إلى الصراعات الأوروبية لتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية على حساب الدعوة الدينية والروحية، مما أدى لردة فعل لدى الشعب والمجتمع الأوروبي، فلم ينظروا إلى بابا روما على أنه أب روحي لهم بل نظروا له نظرة أمير علماني، ففي بداية القرن السادس عشر ظهرت حركة الإصلاح الديني كحركة اجتماعية وسياسية ضد مفاسد الكنيسة الأوروبية شملت معظم الدول الأوروبية على يد مفكرين ومصلحين تعمقوا ودرسوا اللاهوت والكتاب المقدس دراسة عميقة مستفيضة، مما أدى إلى ظهور حركة ثقافية واقتصادية واجتماعية نمت وانتشرت وتفاعلت مع الحركات المضادة لها.

سبب اختيار البحث وأهميته:

تم اختيار هذا البحث لمعرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الحركة، والتي أدت إلى انقسام وحدة الكنيسة الكاثوليكية، وخروج أكثر من نصف كنائس أوروبا عن مرجعيتها الدينية وهي الكنيسة البابوية في روما، ومعرفة سبب اضمحلال سلطة البابا في أوروبا بعد أن كان ممثل السيد المسيح على الأرض، وتكمن أهمية هذا البحث في معرفة الشخصيات التي أدت دوراً كبيراً في ظهور حركة الإصلاح الديني والنقاط التي حصل الخلاف عليها مع الكنيسة البابوية، وما هي التعاليم الجديدة التي تم طرحها لإصلاح الكنيسة الرومانية.

إشكالية البحث:

إن دراسة حركة الإصلاح الديني في أوروبا يدفع البحث لطرح التساؤلات التالية:

1-هل حصل الإصلاح الديني من داخل الكنيسة الكاثوليكية أم ظهر دعاة من خارجها كان لهم دور في ظهورها؟

2-هل استسلمت كنيسة روما والبابا لهذه الدعوة أم كان لرجال الدين الكاثوليك وبعض الكنائس الأوروبية ردة فعل على هذه الحركة؟

3-هل تدخل قادة الدول الأوروبية في منع انتشار هذه الحركة أم ساندوها ودعموها لمواجهة سلطة كنيسة روما الكاثوليكية؟

4- ما هو رد فعل الشعب الأوروبي على حركة الإصلاح الديني؟

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المصادر والمراجع الخاصة بالبحث، ودراستها وتحليل ما جاء فيها، ثم تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي والمنهج السردي لشرح طبيعة هذه الحركة وأدلتها على إصلاح الكنيسة الكاثوليكية.

مقدمات محاولات الإصلاح الديني في أوروبا:

أولى محاولات الإصلاح الديني التي أضعفت من هيبة الكنيسة هي الانقسام الخطير حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام، فانقسم العالم المسيحي إلى جماعتين، فالجماعة الأولى دعوا بالأريوسيين نسبة إلى أريوس الذي قال بأن المسيح بشر ومخلوق وهو مشابه لله فقط، وجماعة أخرى دعوا بالأثناسيوسين نسبة إلى أثناسيوس الذي قال بأن السيد المسيح يشبه الله ويماثله في جميع الصفات، ومن هنا تم الانقسام إلى أصحاب الطبيعة الواحدة وأصحاب الطبيعتين، هذا الأمر عرض الكنيسة في القرن الرابع الميلادي لانقسام خطير، كما تعرضت الكنيسة البابوية إلى حركات هرطقية إلحادية مثل الحركة الألبيجنسية، التي ظهرت في مدينة ألبى الفرنسية فقد نفت وجود الله وقالت بوجود قوتين هما متنازعتين ومتنافستين هما قوة الخير وقوة الشر، وقد عانت الكنيسة البابوية كثيراً للقضاء على هذه الحركة وأتباعها بعد أن جندت أتباعها في محاكم التفتيش ضد أتباع هذه الحركة في جنوب فرنسا وأوروبا[1]، وكذلك انتقال مقر البابوية من روما مقر القديس بطرس إلى أفينون الفرنسية على نهر الرون، واستمر هذا الانتقال مدة سبعين عاماً عرفت في التاريخ بفترة الأسر البابلي وكادت الكنيسة البابوية أن تفقد صفتها العالمية، حتى عاد مقر البابوية إلى مدينة روما من جديد عام 1378م، ولم تقبل فرنسا بعودة مقر البابوية إلى روما، فعقد مجمع ديني في أفينون وتم انتخاب بابا جديد، فأصبح هناك اثنان من البابوات أحدهما في فرنسا والثاني في روما، مما جعل الكنيسة البابوية تفقد صفة التفرد والعالمية، وصار هناك أتباع لكل بابا مما هدد بانقسام العالم المسيحي[2]، هذا الانقسام إلى معسكرين متنازعين أدى لقيام حركة المجالس الدينية الكبرى قام بها جماعة من رجال الكنيسة الكاثوليكية المخلصين لإصلاح حال الكنيسة الكاثوليكية الغربية، ولقد باءت جميع محاولاتهم بالفشل ونتيجة لذلك وجهت الانتقادات للبابوية على أساس رغبتها بالمحافظة على عادات وتقاليد العصور الوسطى، وهذا الفشل سارع بقيام الثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر[3]، كما أدى اجتياح مرض الطاعون في أوروبا إلى حصول اضطراب اجتماعي فيها نتيجة قطع الصلاة بين الدول الأوروبية خوفاً من انتقال الوباء إليها مما عزز الشعور القومي، وانتشار تعاليم دينية متطرفة، بالإضافة لمئات آلاف الموتى منه، فقد أدى هذا الوباء إلى ظهور حركات متطرفة منها حركة السياطين الذين عدوا هذا المرض نقمة من الله بسبب انتشار الرذيلة بين البشر، ويجب تنقية النفس من هذه الرذائل عن طريق تعذيبها وحرمانها باستخدام السياط لضرب أجسادهم، وقد وضعوا قطع الحديد في طرف السياط، ونتيجة هذه الأخطار التي أصابت الكنيسة ظهرت بعض الآراء والعقائد التي حاولت إصلاح حال الكنيسة والوضع المتردي الذي وصلت إليه من ضعف وانتشار أفكار دخيلة على العقيدة.[4]

[1] أبو علية، عبد الفتاح و ياغي، اسماعيل أحمد: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، السعودية، ط3، 1993م، ص83-84.

[2] نوار، عبد العزيز سليمان و جمال الدين، محمود محمد: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص111.

[3] عمر، عبد العزيز عمر: التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000م، ص118-119.

[4] نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، ص112.

إن حركة الإصلاح الديني لم تكن حدثًا دينيًا فقط، بل كانت نقطة تحول أثرت في هيكل المجتمع الأوروبي. فقد ساهمت في ظهور قوى اجتماعية جديدة وأحدثت تغييرات اقتصادية جذرية، حيث نمت الطبقة الوسطى بشكل كبير نتيجة لتقليص دور الكنيسة في السياسة والاقتصاد. كما يشير (Diarmaid MacCulloch (2011 في كتابه " The Reformation: A History" إلى أن الإصلاح الديني أدى إلى تشكيل الهوية القومية الأوروبية وأثر في التحولات الاقتصادية في تلك الفترة.[5]

ألمانيا مهد حركة الإصلاح الديني:

بدأت حركة الإصلاح الديني من ألمانيا كونها تمثل ما تبقى من الإمبراطورية الرومانية المقدسة كون الكنيسة كانت تسيطر فيها بشكل كبير على مقدرات البلاد، فكان البابا يتدخل في شؤون البلاد الدينية والسياسية فهو ظل الله على الأرض، وهو من يفرض الضرائب على رعاياه، ويحق له تعيين رجال الدين في مختلف المناطق فيها، وكان الألمان يعارضون سلطة البابا في بلادهم وتمكنوا من تحدي نفوذه وتحجيمه بشكل كبير، لكن البابا كان يتحكم في كنيسة ألمانيا كثيراً كونها تفتقر للسلطة المركزية القوية القادرة على الوقوف في وجه تسلط رجال الدين، وكانت تعاني من سوء الوضع الاقتصادي بسبب ارتفاع الأسعار، فكان رسل البابا يجمعون المال بكافة الوسائل من ضرائب ورشوة لمن يريد شراء المناصب الدينية والاستعداد لحرب صليبية ضد العثمانيين المسلمين، وكانوا يحققون أطماعهم السياسية كالملوك والأمراء، فأصبحوا يهتمون بالأمور الدنيوية وتحقيق مصالحهم ومصالح ذويهم وأقربائهم على حساب أمر الكنيسة والأمور الدينية.[6]

أسباب حركة الإصلاح الديني:

من أهم أسباب حركة الإصلاح الديني هو التدهور الذي أصاب البابوية ورجال الدين في روما، فإن الانشقاقات التي أصابت رجال الدين في روما ساهمت بظهور هذه الحركة فقد وجد في بعض الأحيان ثلاثة بابوات على رأس العالم المسيحي كل منهم يقر بتولي كرسي البابوية ويطعن بالآخرين، فاهتزت صورة البابوية في العالم المسيحي، وتوجه رجال الدين للبحث عن الثراء والابتعاد عن التقشف وانهماكهم بالترف والملذات، وانتشرت روح النقد والتحرر الفكري في أوروبا، فظهر عدد من الكتاب الذين كشفوا عن فضائح رجال الدين والانحرافات الدينية، وأظهروها للعامة، كما كان لرغبة حكام ألمانيا بالتحرر من سلطة البابا دور كبير في ظهور حركة الإصلاح الديني، فرغم انقسام ألمانيا لوحدات كثيرة إلا أنهم وجدوا بأن سلطة البابا تحد من استقلالهم وسلطتهم، وبالتالي التحرر من سلطة البابوية يجعل ملكهم يمتد على مساحات شاسعة كانت خاضعة للكنيسة، وبالتالي حصولهم على الأموال التي تذهب إلى الخزينة البابوية في روما[7]، وكان بيع صكوك الغفران[8] التي ابتدعها البابوات من الأسباب التي أدت إلى حركة الإصلاح الديني، فهذه البدعة بقدرة الكنيسة على منح الغفران للمؤمنين ومحو ذنوبهم مقابل دفع المال، كانت تعد مورداً سهلاً للحصول على

[5] MacCulloch D. The Reformation: A History. New York: Viking; 2011.

[6] البطريق، عبد الحميد و نوار، عبد العزيز: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص87-88.

[7]الجمل، شوقي عطاالله و عبد الرزاق، عبد الله: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص43-45 .

[8] صكوك الغفران: هي التي تمنح لمن يشتريها من المسيحيين الغفران من الذنوب حسب ادعاءات الكنيسة، ويتم منحها من قبل الكنيسة لمن يعترف بارتكاب الآثام ويتوب عن خطاياه. جنيبير، ش: المسيحية نشأتها وتطورها، تر: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008م، ص142.

الأموال لصالح الكنيسة، وليس ذلك فقط بل ظهرت قضية الاعتراف، وهي أن يعترف المؤمن في خلوة لقسيسه عما اقترفه من ذنب، ثم يقوم القسيس بإقناعه بأن ذنبه قد غفر، وهناك فكرة جديدة، وهي الاستحالة وهو اعتقاد المسيحي بأن أكله للخبز وشربه للنبيذ يوم عيد الفصح يستحيل إلى لحم ودم المسيح، وبالتالي يصبح المسيح في جوفه ويمتزج به[9]، كما كان لاختراع الطباعة في ألمانيا على يد جوتنبرج بالحروف المصفوفة في القرن الخامس عشر الميلادي دور كبير في انتشار العلم بين الناس ووصوله إلى أيديهم، وخاصة الكتاب المقدس الذي كان أول ما طبع إلى اللغات اللاتينية واللغات القومية، فأصبح الكتاب المقدس في حوزة العامة وفي البيوت يطلعون على أسراره التي كانت في حوزة رجال الدين فقط، واكتشف الناس بأن رجال الدين كانوا يفسرون الكتاب المقدس على أهوائهم بعيداً عن النص الأصلي الموجود في الكتاب المقدس، مما جعلهم لا يثقون برجال الدين[10]، يركز هذا البحث على توصيف مظاهر الفساد التي طالت الكنيسة الأوروبية بشكل مدروس بعيداً عن التعميمات. فبدلاً من القول بفساد الكنيسة ككل، سيتم التركيز على ممارسات محددة لبعض رجال الدين، كما ورد في دراسة "The Unintended Reformation" لبرايد س. غريغوري (2012)، والتي تسلط الضوء على الأبعاد الاجتماعية والسياسية لتلك الممارسات[11]، وكان هناك مثالان سيئان أضرا بسمعة منصب البابوية، وأديا إلى رد فعل شعبي مناهض لرجال الدين، وهذا المنصب المهم قبل قيام حركة الإصلاح الديني مباشرة وهما البابا اسكندر السادس Alexander v1 (1491–1503م)[12] الذي كرس حياته لتحقيق أطماعه وإشباع ملذاته فأنجب أربع أبناء من علاقة غير شرعية وسلم أبناؤه مناصب عليا واستخدم هذا البابا لتحقيق أهدافه هو وابنه الرشوة والاغتيال والحرمان البابوي[13]، والبابا يوليوس الثاني Julius II (1503–1513م)[14]، فهو سلك طريقاً مختلفاً عن البابا اسكندر السادس فقد كان محارباً وسياسياً يقود الجيوش ضد أعدائه ويدبر المكائد ويعقد التحالفات السياسية لتحقيق أطماعه في زيادة أملاك الكنيسة، فهو يعد مؤسس أملاك الكنيسة البابوية في القرن السادس

[9] المقرحي، ميلاد: تاريخ أوروبا الحديث 1453–1848، جامعة قار يونس، بنغازي، ط1، 1996م، ص84–85.

[10] رمضان، عبد العظيم: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الجزء الأول من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص109.

[11]Gregory BS. The Unintended Reformation: How a Religious Revolution Secularized Society. Cambridge: Harvard University Press; 2012.

[12]البابا إسكندر السادس: ولد سنة 1431م في إسبانيا وانتخب لمنصب المذهب الكاثوليكي 1491م، وخلف عدة أولاد أشهرهم سيزار بورجا وابنته لوكريس التي أنشأ لها فكتور هوجو الشاعر الفرنسي الشهير رواية محزنة باسمها شرح من خلالها ما ارتكبته هي ووالدها من فظائع الأمور، كما ينسب لهذا البابا ارتكا جميع الآثام والمحرمات، توفي البابا إسكندر السادس عام 1503م عن طريق سم بالغلط، فقد كان قد جهزه ليسم به أحد أعدائه ولكنه تناوله بدلاً عنه. المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 69.

[13] رمضان، تاريخ أوروبا والعالم، ص110–111.

[14] البابا يوليوس الثاني (1443–1513م): بابا روما يعتبر أكبر نصير للفن بين الباباوات، وأحد أقوى حكام عصره في عهده بدأ تشييد كاتدرائية القديس بطرس في روما عام 1506م، وأنشأ العصبة المقدسة عام 1511م. البعلبكي، منير: معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992م، ص509–510.

عشر[15]، فهذان الرجلان فضلا مصلحة الأسرة التي ينتمون إليها على مصلحة الكنيسة ومحاولة زيادة الأراضي الخاضعة لسلطتهما.[16]

أدى ظهور الدول القومية في أوروبا إلى ارتباط المواطن بأرضه ودولته وحاكمه الملك الذي يخضع لسلطته هذا المواطن، مما جعل عمل الباباوات والكنيسة يعتمد على الشؤون الدينية، هذا الأمر دفع الباباوات للانخراط في نفس الحياة، فأصبح لهم قصور وبلاط أكثر فخامة من قصور ملوك أوروبا، ووسعوا أملاكهم على حساب الأراضي المجاورة، الأمر الذي جعلهم يدخلون الميدان السياسي والحربي مع الدول الأوروبية كأي سلطة زمنية، ولكنهم لم يحققوا مكاسب في هذا الميدان لعدم امتلاكهم جيوش قادرة على مجابهة جيوش الدول الأوروبية، مما جعل الناس يشعرون بابتعاد الباباوات عن عملهم الأساسي وهو المحافظة على أمور العقيدة والرعاية الدينية التي يجب أن يقوموا بتقديمها لرعاياهم والنفوس الخاضعة للكنيسة البابوية[17]، فنمو الوعي القومي وظهور الدول القومية الملكية كانت من الدوافع نحو الإصلاح، فتطلع الناس لإقامة كنائسهم بعيداً عن تسلط الكنيسة البابوية، وإقامة طقوسهم الدينية بلغاتهم القومية بدلاً من اللغة اللاتينية التي كانت فقط حكراً على رجال الدين والمثقفون فقد قام رواد الإصلاح بترجمة الكتاب المقدس والتراتيل الدينية إلى اللغات القومية، فجعلوا العامة يفهمون ما يقرأون من صلوات وتراتيل، فخشيت الكنيسة البابوية من تنامي المشاعر القومية للشعوب الأوروبية والخروج من سلطتها وقوتها العالمية، ونشطت للسيطرة على السياسة الدنيوية، مما جعلها تدخل في صراعات سياسية مع الإمبراطورية والملكيات الموجودة في الدول الأوروبية.[18]

- دور الطباعة وتأثيرها على الإصلاح:

إن اختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر كان له تأثير عميق على جميع مجالات الحياة في أوروبا، وبصفة خاصة على حركة الإصلاح الديني. فقد وفرت الطباعة وسيلة جديدة لنشر الأفكار والمعتقدات بسرعة وكفاءة، مما ساهم في إعادة تشكيل المشهد الديني والسياسي في تلك الفترة.

سرعة انتشار الأفكار: كانت الطباعة وسيلة ثورية في نشر نصوص مارتن لوثر وأفكاره. كما يشير (Diarmaid MacCulloch 2011) في كتابه "The Reformation: A History"، فإن الطباعة سمحت لطروحات لوثر، مثل أطروحاته الشهيرة (95 Thesis)، أن تنتشر بسرعة كبيرة في جميع أنحاء أوروبا. لم يعد يعتمد المصلحون على التقاليد الشفوية أو النسخ اليدوية البطيئة، بل أصبح بإمكانهم طباعة الآلاف من النسخ وتوزيعها في وقت قصير. وهذا التوسع في نشر المعلومات عزز من حركة الإصلاح وأدى إلى تحفيز المناقشات العامة حول قضايا دينية كانت تُعتبر حساسة في السابق.[19]

إتاحة النصوص للجمهور العام: قبل اختراع الطباعة، كانت معظم النصوص الدينية محصورة في يد رجال الدين والطبقات الراقية. لكن مع ظهور الطباعة، أصبح الكتاب المقدس والنصوص اللاهوتية متاحة للجمهور العادي. كما يشير (Mark A. Noll 2006) في كتابه "America's God"، فإن هذا الانفتاح أدى إلى تعزيز الفكر الفردي، حيث

---

[15] رمضان، تاريخ أوروبا والعالم، ص111.

[16] عمر، عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992م، ص138-139.

[17] يحيى، جلال: أوروبا في العصور الحديثة (الفجر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1981م، ص440.

[18] الزيدي، مفيد: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 2009م، ص419.

[19] MacCulloch, op. cit.

بدأ الأفراد في تفسير الكتاب المقدس بأنفسهم دون الحاجة إلى وسيط من رجال الدين. هذه الظاهرة أسهمت في تعزيز الحركة البروتستانتية التي دعت إلى العودة إلى النصوص الأصلية ورفض السلطة المطلقة للكنيسة.

التأثيرات الثقافية والاجتماعية: علاوة على ذلك، أدى انتشار الطباعة إلى تأثيرات ثقافية واجتماعية أوسع. بدأت الطبقات الوسطى في اكتساب المعرفة والوعي السياسي والديني، مما ساهم في تشكيل هوية جديدة. كما يبرز Carlos M. N. Eire (2016) في "Reformation: Global Perspectives"، أن الطباعة شجعت على النقاشات الفكرية التي كانت تعتبر غير مقبولة في السابق، مما أتاح للأفكار الإنسانية والعلمانية أن تجد مكانها في الحوار الثقافي.

ردود الفعل المضادة: ومع ذلك، لم يكن تأثير الطباعة إيجابيًا فقط. فقد أدت إلى ردود فعل من قبل الكنيسة الكاثوليكية التي رأت في هذا الانتشار تهديدًا لسلطتها. وفقًا لدراسات تاريخية، قامت الكنيسة بحملة لمكافحة الكتب المحظورة ونشرت نصوصًا مضادة للرد على الأفكار البروتستانتية. استخدمت الطباعة نفسها كسلاح، مما أدى إلى تصعيد الصراعات بين الكاثوليك والبروتستانت.

دور الطباعة في حركة الإصلاح الديني كان حاسمًا في تعزيز انتشار الأفكار البروتستانتية وتحفيز النقاشات العامة. لقد أحدثت الطباعة تغييرًا جذريًا في كيفية وصول المعرفة إلى الجمهور، مما ساهم في تقويض السلطة التقليدية للكنيسة. ومع ذلك، فإن هذه الظاهرة لم تخلُ من التحديات والردود المضادة، مما يعكس التعقيد الذي صاحب هذا التحول التاريخي. إن فهم دور الطباعة وتأثيرها يساعدنا على إدراك كيف أن التكنولوجيا يمكن أن تُغير من مجرى التاريخ وتحفز التغيرات الاجتماعية والدينية.[20]

- أبرز رواد حركة الإصلاح الديني في أوروبا:

- **جون ويكليف** (1330-1384م): لاهوتي ومصلح ديني انكليزي في القرن الرابع عشر، فقد انزعج مما وصلت إليه أحوال رجال الدين من تردي، فدعا للعودة بكنيسة السيد المسيح إلى أيام المسيحية الأولى، ودعا المؤمنين إلى فرض الإصلاح على جميع رجال الدين بما فيهم البابا نفسه، وأنكر سلطة البابا نفسه في حال تعارضت مع تعاليم الكتاب المقدس، وقد اعتقد ويكليف بأن الرحمة والمغفرة من الإله يستطيع الإنسان الحصول عليها دون حاجة لأي واسطة، وقد اتهمت الكنيسة ويكليف بالهرطقة[21]، لذلك تشدد في آرائه مقراً بأن السلطة الروحية هي للرب ولا يحق لأحد التدخل فيها، ولا يمكن للبابا إصدار قرار الحرمان، فالحرمان يأتي من الرب فقط وليس من البابا، وأن طريق التوبة الصحيح يكون من خلال اعتراف الشخص لربه بذنبه وهو من يغفر له هذا الذنب أو يعذبه إن شاء، وليس رجل الدين الذي يعترف له هذا الشخص بذنبه، وأن صكوك الغفران وبيعها للناس من قبل الكنيسة ما هي إلا بدعة ابتدعتها الكنيسة لزيادة دخلها وأموالها، وقد لاقت طروحات ويكليف ترحيباً من الشعب الانكليزي، وأصبح له تلاميذ أطلقوا على أنفسهم اسم اللورديين، وانتشروا في أنحاء انكلترا يدعون الناس لاعتناق مبادئ ويكليف الدينية.[22]

- **جون هس** (1373-1415م): وهو أستاذ الفلسفة في جامعة براغ كان واعظاً محبوباً في الجامعة تأثر بآراء ويكليف وترجمها إلى اللغة التشيكية، وعندما أمر البابا بحرق جميع كتابات ويكليف في بوهيميا، لكن هس اعترض على ذلك لذلك أصدر البابا قراراً بالحرمان بحقه، لكن هس تابع نشر تعاليمه بدعم من قبل ملك بوهيميا لم يعترض هس على بيع

[20]Noll MA. America's God: From Jonathan Edwards to Abraham Lincoln. New York: Oxford University Press; 2002.

[21] المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث، ص80-81.

[22] نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة، ص113-114.

صكوك الغفران، ولكنه اعترض على بيعها لجمع الأموال وصرفها في الحروب، وكانت آرائه تتقاطع مع آراء ويكليف، فقد دعا هس إلى عدم إعطاء البابوات أي سلطة دنيوية أو التدخل بالسياسة، وشن الحروب، وأكد بأن الكنيسة ليست رجال الدين فقط بل تحوي كل من اختارهم الله لإنقاذ أرواحهم من أحياء وأموات، وأدخل إلى الكنيسة مبدأ القضاء والقدر، ولكن أعداء هس هاجموه وعدوه مهرطقاً، وعقد مجلس كنسي في مدينة كونستانس وحاكمته وصدر الأمر بإعدامه وحرق جميع كتاباته، وتم تسليمه لأمير المدينة الذي قام بإعدامه عام 1415م في مدينة كونستانس.[23]

– **سافونا رولا (1452–1498م)**[24]: الذ هاجم الكنيسة بأن الفساد يبدأ من روما، ثم ينتقل لرجال الدين، وأشار إلى أن الجميع في روما قد جمعوا أموالهم من بيع الوظائف الدينية، والذين يشترونها يخلعوها على أبنائهم وأقاربهم، فرجال الدين يرتكبون مختلف الآثام مقابل الحصول على المال، وأجراسهم لا تدق إلى مقابل المال والشموع، وقد هاجم رجال الدين بأنهم لا يحضرون القداديس والتراتيل والصلوات إلا إذا توقعوا كسباً مالياً، فمم باعوا كنائسهم والقربان المقدس ويتاجرون في القداديس، وإذا عاش كاهن أو قس حياة دينية عادية يتهمونه بالنفاق، لذلك أصبح الجميع يحذرون من روما، وقد انتشرت أقاويل بين الناس بأنه إذا أردت أن تحطم ابنك فاجعله قساً.[25]

– **يوحنا روكلن (1455–1522م)**: عالم ومفكر إنساني وهو متخصص في الدراسات العبرية والإغريقية لقد وظف روكلن دراساته في خدمة الجوانب الدينية، وقد قام بترجمة وتفسير العهد القديم من الكتاب المقدس مستعيناً باللغة العبرية، وكان لكتاباته أثر كبير في كشف مساوئ الكنيسة، ونقد البدع والخرافات التي انتشرت فيها، مما أثر بالرأي العام وتكون قسم من الناس ضد كنيسة روما، مع أن روكلن لم يكن هدفه الخروج على الكنيسة، ولكن هدفه الأساسي كان أن تقوم الكنيسة بإصلاح نفسها من الداخل.[26]

– **ديزيديروس إرزم (1467–1536م)**[27]: إنسانياً درس العلوم القديمة اليونانية واللاتينية والحضارة العربية الإسلامية، لقد أراد إرزم تقويم المجتمع وتخليصه من شروره وإصلاح الكنيسة ورفع مستوى رجالها، فقد كان مسيحياً مؤمناً بتعاليم السيد المسيح، وقد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اليونانية، مع ترجمة بسيطة للاتينية حتى يستطيع العامة فهمه، حتى يتمكنوا من العودة إلى المسيحية الأولى وبساطتها كما طرحها السيد المسيح، ونتيجة طروحاته أصبح له أتباع وتلاميذ كثر في انكلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا، فقد أصبح رائد مدرسة خاصة به في الدراسات الإنسانية، وسخر موهبته في السخرية والتهكم على رجال الكنيسة.[28]

---

[23] عمر، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص126–128.

[24]سافونارولا: وهو راهب ومصلح ديني إيطالي شن حملة عنيفة على الفساد الأخلاقي الذي أصاب الكنيسة في عصره فنقم عليه الكرسي البابوي واتهمه بالهرطقة فشنق وأحرقت جثته على مرأى سكان فلورنسا جميعاً. البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص230.

[25] فيشر، هربرت: أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، تر: زينب عصمت راشد و أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ط3، 1961م، ص85.

[26] نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة، ص118.

[27] إرزم: ولد في روتردام في هولندا، حيث درس علم اللاهوت فيها، ثم انتقل إلى جامعة باريس فدرس فيها اللغة اللاتينية، ثم انتقل بين الجامعات مختلطاً بكبار العلماء والأساتذة، وزار انكلترا عام 1498م وقابل باحثي اكسفورد ممن درسوا اليونانية فدرسها، وأصبح أشهر علماء عصره في الآداب والعلوم الكلاسيكية. البطريق، التاريخ الأوروبي الحديث، ص85.

[28] الأدهمي، محمد مظفر: تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة– الثورة الفرنسية القرون 16–18 ميلادية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، د.ت، ص31–32.

- **مارتن لوثر (1483-1546م)**[29]: بعد أن أصبح راهباً زار مارتن لوثر مدينة روما وكانت بنظره مدينة السيد المسيح التي تشع تعاليم السيد المسيح وفضائله للعالم أجمع فهي المدينة المقدسة، ولكن ما رآه في روما من أبهة وعظمة أثارت دهشته، فهو قد اعتاد على حياة التقشف والزهد، كما رأى في روما بأن القداسات قصيرة بينما الأعياد والاستقبالات طويلة، ورغم ما وصل إلى مسمعه من فضائح الكنيسة إلا أنه أدار ظهره لها، فهو الابن المخلص للكنيسة الكاثوليكية[30]، فقد جرب الصلاة والصوم والتأمل والتصوف فلم تجلب له أي راحة ولم تخفف من آلامه، ورأى بأن الطقوس الدينية من صلاة وصوم وحج كلها أعمال بلا جدوى، واعتقد بأن الحقائق الفكرية متصلة بالكتاب المقدس، وبعد دراساته الطويلة في علم اللاهوت توصل إلى نتيجة مفادها بأن الإيمان المطلق برحمة الله هو الوسيلة لتخليص الروح من الآثام، والخلاص من عقاب الله، كما وجه اهتمامه نحو مسألة الغفران التي تقوم الكنيسة ببيعه عن طريق صكوك الغفران، وتحصل على المال من خلاله، بعد أن كان المؤمن يحصل عليه عن طريق العبادة والتوبة والصوم[31]، وفي عام 1517م استغل مارتن لوثر قدوم راهب يدعى تتزل لبيع صكوك الغفران وقد وصل في طريقته لبيع هذه الصكوك حد الابتذال، وكأنه يقوم بمعاملات تجارية، فقد عرضت هذه الصكوك للبيع أمام كوات البنوك، وكان تتزل بأن الكنيسة الكاثوليكية تعلق الفكرة بحرفية النص، كما يؤكد البابا[32]، وفي عيد القديسين عام 1517م استغله مارتن لوثر لتعليق لائحة تتضمن خمس وتسعين قضية عقائدية على باب كنيسة قصر ويتنبرغ، التي كانت موجهة بصورة رئيسية ضد صكوك الغفران وطرحت البحث عن سلطة البابا هذه الاعتراضات أدت إلى إثارة رد فعل كبير عند المسيحيين الألمان، ورفض من قبل المسيحيين الكاثوليك، وقد أكد لوثر بأن سلطة الكتاب المقدس هي أكبر من سلطة البابا.[33]

تمت مناقشات بين رسل البابا علماء اللاهوت وبين مارتن لوثر في حججه واعتراضه على الكنيسة الكاثوليكية، ولم تصل هذه المناقشات إلى حلول لتقريب وجهات النظر بين الطرفين، وحدد مارتن لوثر مبادئ حركة الإصلاح بضرورة إخضاع رجال الدين للسلطة السياسية في الدول، وإنهاء احتكار البابا لتفسير الكتاب المقدس، وإباحة زواج القس وإباحة الطلاق للمسيحيين، وإلغاء الحج إلى روما وتصفية الأديرة، فأصدر البابا قرار الحرمان ضد مارتن لوثر، وكتب لوثر إلى البابا رسالة قال له فيها:" *إنك لا تستطيع أن تنكر أن ما يسمى بهيئة الكهنوت الرومانية هي من أفسد بابل وسدوم، ولقد أظهرت احتقاري حقاً، وانتابني الغضب لأن الشعب المسيحي يُخدع تحت ستار اسمك واسم الكنيسة*

[29] مارتن لوثر: ولد في مدينة آيزلبين في ألمانيا عام 1483م، درس في مدينة مكدبرك عند جماعة تسمي نفسها اخوان الحياة المشتركة، ثم درس علم اللاهوت في جامعة ايرفرت وتخرج منها برتبة راهب عام 1505م، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة وتنبرك وعين في جامعتها استاذاً لتدريس علم اللاهوت. صالح، محمد محمد: تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500-1789م، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1981م، ص180.

[30] حاطوم، نور الدين: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص163-164.

[31] عصمت، راشد زينب: تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص110-111.

[32] حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، ص164-165. والمقرحي، تاريخ أوروبا الحديث، ص87.

[33] بيرنجيه، جان وكونتامين، فيليب و دوران، ايف وراب، فرنسيس: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى القرن الثامن عشر، ج2، تر: وجيه البعيني، إشراف: الهاشم انطوان، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط1، 1995م، ص269-270.

المسيحية لهذا قاومت وسأظل أقاوم ما وجد فيّ عرق ينبض بروح الإيمان"[34]، وقد طالب لوثر بمحاربة البابوية ومن يساندها، ولم يقبل الدعوة لزيارة روما، وعنما قامت البابوية بإصدار قرار الحرمان ضد مارتن لوثر قام بمهاجمة البابوية عبر مقالات هاجم فيها البابوية والكنيسة الكاثوليكية، كما قام بوصف البابا بعدو المسيح والمسيحية، وعندما وصله قرار الحرمان قام بإحراقه أمام الناس في جامعة ويتبرغ علناً وطالب الإمبراطور شارل الخامس بمحاربة البابوية ومصادرة أملاكها في ألمانيا في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور يطمع بإقامة إمبراطورية كاثوليكية بدعم من البابوية، لذلك وجد في طروحات مارتن لوثر خطراً على طموحاته ورغباته[35]، عندما علق لوثر أطروحاته في عام 1517، كان يعبر عن استياءه من الفساد داخل الكنيسة، ولكنه أيضًا كان يستجيب للبيئة السياسية التي سادت في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فقد كان العديد من الأمراء الألمان يبحثون عن وسائل لتعزيز سلطتهم وتحريرهم من نفوذ البابا، وهو ما يعكس ما ناقشه (Mark A. Noll 2006) في كتابه "America's God"، حيث أشار إلى أن الإصلاح قدم فرصة للأمراء الألمان لتحقيق استقلالهم السياسي والاقتصادي عن الكنيسة الكاثوليكية. لذا، فإن دعوة لوثر للإصلاح لم تلقَ صدىً بين القادة الدينيين فحسب، بل أيضًا بين السياسيين الذين وجدوا في أفكاره وسيلة لتعزيز سلطتهم.[36]

-**أولريش زونجلي (1484-1531م)**: وهو انساني من سويسرا تلقى تعليمه في مدارس وجامعات برزوفينا وبال تأثر بإرزم وأفكاره دفعه أعمامه للانخراط في سلك الرهبنة وكان والده عمدة المقاطعة، دعي إلى مدينة زيورخ ليعمل واعظ في كنيسة المدينة الكبرى، حيث لمس المساوئ التي يتعرض لها الدين من رجال الكنيسة، وأراد القضاء على هذه المساوئ لذلك قاد حركة الإصلاح الديني في سويسرا[37]، واعترف زونجلي فقط بسلطة الكتاب المقدس، وكان يرى في العشاء الأخير مجرد ذكرى لآخر وجبة تناولها السيد المسيح، رافضاً أن يكون السيد المسيح موجود في القربان المقدس، وفي عيد الفصح عام 1525م ألغى القداس الكاثوليكي قام بإغلاق الصوامع ومنع الموسيقى والصور في الفروض الديني[38]، وعد الكنيسة مؤسسة لكل المسيحيين يشتركون في هيئة معينة في الفصل بجميع المسائل المتعلقة بالكنيسة والتعيين في الوظائف الكنسية، وقد انقسمت سويسرا إلى قسمين بروتستانتي من أتباع زونجلي، وكاثوليكي تابع لكنيسة روما، وقد قتل زونجلي في الحرب التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت عام 1531م.[39]

- **جون كالفن (1509-1564م)**: ولد في مدينة نويون الفرنسية عمل في الوظائف الدينية، وعمل على دراسة المسائل الدينية، وفي عام 1534م بدأ بالعمل على تقويم الكنيسة الكاثوليكية، واضطر إلى الفرار من فرنسا بسبب سياسة الاضطهاد الديني التي كان يتبعها الملك الفرنسي فرانسوا الأول (1494-1547م)[40] ضد البروتستانت، وتنقل في مختلف الدول الأوروبية حتى استقر أخيراً في جنيف بسويسرا عام 1536م، حيث ألف كتاباً باللغة اللاتينية كان

[34] رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث، ص121. ويحيى، أوروبا في العصور الحديثة، ص442-443.

[35] الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث، ص425-426.

[36]Noll MA, op. cit.

[37] عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص180-181.

[38] بيرنجيه، موسوعة تاريخ أوروبا العام، ص272.

[39] رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث، ص134.

[40] فرانسوا الأول: ملك فرنسا بين عامي (1515-1547م) قضى الفترة الأكبر من حكمه في محاولة الاستيلاء على ايطاليا وفي محاربة الإمبراطور شارل الخامس، فأسره شارل الخامس في معركة بافيا عام 1525م، شجع الفنون فبلغت النهضة الفرنسية في عهده أوج ازدهارها. البعلبكي، موسوعة أعلام المورد، ص317-318.

عنوانه تعاليم الدين المسيحي ألفه في مدينة بال[41]، وفي جنيف أسس كالفن نظامًا سياسيًا ودينيًا محكمًا، حيث دمج بين الحوكمة المدنية والمبادئ اللاهوتية. كما يشير (Diarmaid MacCulloch 2011) في كتابه " The Reformation: A History"، أن كالفن اعتبر أن السلطة الدينية يجب أن تُمارس بشكل مركزي لتعزيز القيم الأخلاقية والسياسية في المجتمع. وقد ساعد ذلك في تشكيل مجتمع ينظم حياته وفقًا لمبادئ دينية صارمة، مما أدى إلى تأثير كبير على التوجهات السياسية في سويسرا وأجزاء من أوروبا[42]، فقد عد كالفن الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد لقضايا العقيدة والايمان دون سلطة البابا، وفي ضرورة السماح لرجال الدين بالزواج، وقد رفض تقديس السيدة العذراء والقديسين، وأن الغفران يكون بالإيمان الصحيح، وأن الغفران هو هبة من الله منذ الأزل يقدرها لعباده دون النظر لأعمالهم، فالثواب والعقاب مقدرة على الإنسان منذ الأزل مؤكداً بأن الخلاص يصيب بعض البشر والعقاب يصيب البعض الآخر، وأن الله يختص برحمته المؤمنون الزاهدون الأتقياء، وقد رأى كالفن أن الدولة وجميع مؤسساتها لتلك القلة القليلة في سبيل المسيحية، حتى ينشأ المجتمع الديني بمواصفات القديسين وينتشر حسن الخلق، ويجب أن يكون واجب الملك خدمة الدين والعمل بما أنزله الله في الكتاب المقدس، وقد لقيت دعوة كالفن استجابة كبيرة من الفرنسيين، وانتشرت في المجر وبوهيميا واسكتلندا وانكلترا وبولندا.[43]

- اختلافات وجهات النظر بين مصلحي حركة الإصلاح الديني:

في هذا البحث نبحث في اختلافات وجهات النظر بين المصلحين الأساسيين لحركة الإصلاح الديني، مثل مارتن لوثر وجون كالفن، وكيف أثرت تلك الاختلافات على تطور الحركة وتوجهاتها الفكرية:

مارتن لوثر: يعتبر لوثر رائد حركة الإصلاح البروتستانتي، حيث قدم رؤى جديدة تتعلق بالخلاص، مُؤكداً على أهمية الإيمان الشخصي وعلاقة الفرد المباشرة بالله، بعيدًا عن سلطة الكنيسة. اعتبر لوثر أن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمعرفة الدينية، وهو ما عُرف بمبدأ "الكتاب وحده" (Sola Scriptura). وفقًا لـ(Mark A. Noll 2006) في كتابه "America's God"، كانت دعوة لوثر لمواجهة الفساد في الكنيسة الكاثوليكية تهدف إلى استعادة القدسية للدين من خلال التفسير الشخصي للنصوص الدينية، مما أدى إلى تعزيز حرية التعبير الديني.

جون كالفن: من جهة أخرى، جاء كالفن بأفكار تختلف جذريًا عن تلك التي طرحها لوثر، حيث أسس نظامًا لاهوتيًا أكثر تنظيمًا وتماسكًا يعرف بـ"الكالفينية". اعتمد كالفن على فكرة "المصير المحتوم" (Predestination)، التي تشير إلى أن الله قد اختار مسبقًا من هم الذين سيخلصون، مما أعطى مفهومًا مختلفًا لموقع الإنسان في خطة الله. كما اهتم كالفن بإعادة هيكلة المجتمع المسيحي ليكون وفقًا للمبادئ الكتابية، حيث اعتبر أن السلطة الدينية يجب أن تُمارس بشكل مركزي وقوي لتعزيز القيم الأخلاقية والسياسية في المجتمع.

التأثيرات على الحركة: تشير الدراسات إلى أن الاختلافات بين لوثر وكالفن لم تؤثر فقط على الفهم اللاهوتي للإيمان المسيحي، بل كانت لها تأثيرات عميقة على السياق الاجتماعي والسياسي لأوروبا في ذلك الوقت. فقد ساهمت تلك الاختلافات في تكوين مدارس فكرية متعددة داخل حركة الإصلاح، مما أدى إلى تنوع المذاهب البروتستانتية وظهور انقسامات جديدة، مثل التوتر بين الكالفينيين واللوثريين. كما يوضح Noll أن هذه الاختلافات أسهمت في تطور الهوية

[41] أبو علية، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص101.

[42]MacCulloch, op. cit.

[43] الأدهمي، تاريخ أوروبا الحديث، ص52-53.

المسيحية خلال القرن السادس عشر، حيث انقسمت المجتمعات الأوروبية بين الولاء للكنيسة الكاثوليكية أو للأشكال الجديدة من البروتستانتية.[44]

حركة الإصلاح الديني كانت ليست مجرد صراع ديني، بل كانت تتعلق أيضًا بصراعات اجتماعية وسياسية معقدة. هذه الديناميات المستمرة أدت إلى إعادة تشكيل القيم والمعتقدات في المجتمع الأوروبي، ما جعل الإصلاح الديني حركة ذات أبعاد متعددة لا تزال تؤثر في العالم حتى اليوم.

-تأثير الإصلاح خارج أوروبا:

حركة الإصلاح الديني، التي بدأت في القرن السادس عشر في أوروبا، كان لها تأثيرات تتجاوز حدود القارة الأوروبية، مما أسهم في إعادة تشكيل المشهد الديني والسياسي في أماكن متعددة حول العالم. وقد أدت هذه الحركة إلى بروز حركات دينية جديدة وتغييرات اجتماعية وسياسية في مناطق مختلفة، بما في ذلك العالم الإسلامي والدولة العثمانية.

تأثير الإصلاح على العالم الإسلامي: من المعروف أن حركة الإصلاح لم تؤثر فقط على المسيحية، بل كان لها أيضًا تداعيات على العالم الإسلامي. وفقًا لـ(Diarmaid MacCulloch 2011) في كتابه " The Reformation: A History"، فإن التأثيرات البروتستانتية كان لها صدى في الأراضي العثمانية، حيث بدأ بعض المفكرين المسلمين في النظر إلى الإصلاحات الأوروبية كنموذج للتغيير الاجتماعي والديني. إذ انتشر النقاش حول السلطة الدينية وكيفية التحكم بها، مما دفع بعض العلماء إلى التفكير في كيفية مواجهة الفساد في مؤسساتهم الدينية.[45]

تفاعل المسيحية البروتستانتية مع المجتمعات الإسلامية: أدت حركة الإصلاح أيضًا إلى تفاعلات بين المجتمعات البروتستانتية والمجتمعات الإسلامية، خصوصًا مع تزايد التجارة والتبادل الثقافي.

كتب (Carlos M. N. Eire 2016) في "Reformation: Global Perspectives" أن هذه التفاعلات أظهرت كيف أن الفكر البروتستانتي أثر في مفهوم التسامح الديني وفتح قنوات جديدة للحوار بين الثقافات. وقد ساهمت هذه الديناميات في تشكيل فهم جديد للإيمان في العالم الإسلامي، حيث ساعدت على تيسير النقاشات حول الفلسفات الدينية المختلفة.[46]

الصراعات السياسية والدينية: لم تكن تأثيرات الإصلاح مقتصرة على الجوانب الفكرية فقط، بل كانت لها تداعيات سياسية أيضًا. أدى النزاع بين الكاثوليك والبروتستانت إلى تصعيد التوترات في الدول الأوروبية، مما أثر على السياسة العالمية. على سبيل المثال، الحرب الثلاثين عامًا (1618–1648) لم تكن مجرد صراع داخلي، بل كان لها آثار على التوازن السياسي في العالم، كما يناقش (Mark A. Noll 2006) في "America's God"، حيث أشار إلى أن هذه الحروب أسفرت عن تغييرات كبيرة في الهياكل السياسية، بما في ذلك تأثيرها على المستعمرات الأوروبية في العالم الجديد.[47]

التأثيرات الاقتصادية: اقتصاديًا، أدت حركة الإصلاح إلى تغييرات في العلاقات التجارية بين أوروبا والمناطق الأخرى. بدأت الدول الأوروبية الجديدة في إقامة علاقات تجارية مع الشرق الأوسط وآسيا، حيث كانت البروتستانتية تحث على ممارسات تجارية جديدة ومختلفة. وقد ناقش الباحثون أن هذه الحركة كانت سببًا في ظهور الطبقات الوسطى وتطوير

[44] Noll, op. cit.
[45]MacCulloch, op. cit.
[46] Eire CMN. Reformation: Global Perspectives. New Haven: Yale University Press; 2016.
[47]Nol, op. cit.l

النظام الرأسمالي في بعض البلدان، كما يُظهر (Diarmaid MacCulloch 2011) في دراسته حول تأثيرات الإصلاح.[48]

حركة الإصلاح الديني لم تكن مجرد حدث محلي في أوروبا، بل كانت لها تأثيرات عالمية. فقد أسهمت في تشكيل التفاعل بين الثقافات، وتغييرات في الهياكل الدينية والسياسية في العالم، بالإضافة إلى تأثيرها على الاقتصاد. هذا التحليل يكشف كيف أن الإصلاح كان حركة شاملة كانت لها آثار دائمة على السياقات الدينية والسياسية والاجتماعية في مناطق بعيدة عن قلبها الأوروبي.

سلبيات حركة الإصلاح الديني:

حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر تُعتبر واحدة من أبرز الأحداث التاريخية التي شكلت التاريخ الأوروبي. على الرغم من إنجازاتها في مواجهة الفساد داخل الكنيسة الكاثوليكية وتعزيز القيم الفردية، إلا أن لهذه الحركة أيضًا سلبيات متعددة أثرت بشكل عميق على المجتمعات الأوروبية وما بعدها.

الانقسامات الطائفية والنزاعات الدينية: أحد أبرز السلبيات التي نتجت عن حركة الإصلاح هو الانقسام الطائفي الحاد بين الكاثوليك والبروتستانت. كما يشير (Mark A. Noll (2002 في كتابه "America's God"، فإن هذه الانقسامات أدت إلى صراعات دينية طاحنة، مثل الحرب الثلاثين عامًا (1618–1648)، التي شهدت نزاعًا دمويًا بين الكاثوليك والبروتستانت، وأسفرت عن خسائر بشرية ومادية كبيرة. هذه الحروب لم تكن مجرد صراعات دينية، بل كانت لها أبعاد سياسية واقتصادية، مما أدى إلى دمار واسع النطاق في أوروبا.[49]

انتشار التعصب الديني: على الرغم من أن حركة الإصلاح سعت لتعزيز الحرية الدينية، إلا أنها ساهمت في تعزيز التعصب الديني في بعض المناطق. وفقًا لدراسة (Diarmaid MacCulloch (2011 في " The Reformation: A History"، فإن الإصلاح لم يسلم من الظواهر التعصبية التي اتخذت أشكالًا عنيفة، حيث نشأت مجتمعات بروتستانتية كانت تعتقد أن لديهم الحق في فرض معتقداتهم على الآخرين، مما أدى إلى قمع الأفراد الذين لم يتبعوا تلك المعتقدات.[50]

التحولات الاجتماعية والاقتصادية: من جانب آخر، أدت حركة الإصلاح إلى تغييرات اجتماعية واقتصادية لم تكن دائمًا إيجابية. فبينما أدى تعزيز قيم العمل والنجاح الشخصي إلى ظهور الطبقة الوسطى، إلا أن ذلك كان مصحوبًا بتفكيك الهياكل التقليدية التي كانت قائمة على الطاعة والولاء للكنيسة. هذه التحولات الاجتماعية، كما يشير (Carlos M. N. Eire (2016 في "Reformation: Global Perspectives"، كانت أحيانًا مصدرًا للاحتكاك بين الطبقات الاجتماعية، مما أسفر عن فقدان التماسك الاجتماعي في بعض المناطق.

فشل في إصلاح كل المجالات: على الرغم من الأهداف النبيلة التي سعى المصلحون لتحقيقها، إلا أن حركة الإصلاح لم تنجح في معالجة جميع القضايا. فحتى مع تحسين بعض الجوانب داخل الكنيسة، إلا أن العديد من التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ظلت قائمة. كما تشير الأبحاث إلى أن بعض الممارسات القديمة التي أدت إلى الفساد في الكنيسة لم تُعالج بشكل كامل، مما خلق شعورًا بالإحباط لدى الكثيرين الذين كانوا يأملون في تغيير شامل.[51]

[48] MacCulloch, op. cit.
[49] Noll, op. cit.
[50] MacCulloch, op. cit.
[3] Eire CMN. Reformation: Global Perspectives. New Haven: Yale University Press; 2016.

إن حركة الإصلاح الديني، رغم إنجازاتها العديدة، كانت لها سلبيات مؤثرة على المستويين الديني والاجتماعي. تسببت الانقسامات الطائفية في حروب دينية دموية، وبرز التعصب الديني كظاهرة مقلقة، بينما أدت التحولات الاجتماعية والاقتصادية إلى تفكيك الهياكل التقليدية. إن فهم هذه السلبيات مهم لتقييم تأثير حركة الإصلاح على المجتمعات الأوروبية ومدى استمرار تلك التأثيرات حتى يومنا هذا.

الاستنتاجات والتوصيات

خلصت الدراسة إلى أن حركة الإصلاح الديني كانت نقطة تحول رئيسية في التاريخ الأوروبي، فقد ساهمت في تفكيك السلطة الدينية المركزية وإعادة تشكيل الوعي الديني والاجتماعي. ورغم التحديات والصراعات التي نتجت عنها، كان لهذه الحركة تأثيرات طويلة الأمد لا تزال قائمة حتى اليوم، مما يجعلها من أهم الحركات التي أثرت في تشكيل أوروبا الحديثة، كما ناقش (Mark A. Noll .2006) في كتابه "America's God"."

إن دراسة الإصلاح الديني في أوروبا ترتب عليه العديد من النتائج:

-كان لحركة الإصلاح الديني دور كبير في حصول الانشقاق بين الشعب الأوروبي فقد انقسم إلى كاثوليك وبروتستانت مما أدى إلى نشوب حرب دينية شملت معظم أوروبا واريقت فيها الدماء المسيحية على الأراضي الأوروبية.

-حصل نتيجة عملية الإصلاح أن ضعفت سلطة بابا روما كثيراً في بعض المدن الأوروبية، فثلاثة أرباع ألمانيا خرجت عن سلطة الكنيسة في روما، وانكلترا قطعت علاقاتها مع الكنيسة البابوية وشكلت كنيسة خاصة بها.

- أظهرت هذه الحركة مفاسد رجال الدين الكاثوليك والبابا الذي نسي مهمته الدينية وأصبح رجل سياسة يتدخل في الشؤون السياسية الأوروبية ويشكل تحالفات ويقود الحروب ويطمع بزيادة أملاك البابوية، فقد أصبح بلاطه أكبر وأفخم من بلاط معظم ملوك أوروبا وكذلك انتشرت الرذيلة بين رجال الدين.

-غيرت حركة الإصلاح الديني في كثير من العقائد والتقاليد التي كانت تسير عليها الكنيسة البابوية في روما والتي كانت تتبع لها الكنائس الأوروبية، فقد أصبح الكتاب المقدس هو أساس العقيدة ولا يقبل التأويل وأن الرحمة والإيمان هي من الله وليست من بابا روما وغفران الذنوب يغفرها الله وليس البابا ولا يباع الغفران ويشترى كأنه سلعة بل الله هو من يغفر ذنوب البشر وليس البابا ورجال الدين المسيحي.

- أدت هذه الحركة إلى شعور البابا ورجال الدين بزوال سلطتهم مما جعلهم يلجؤون لحكام أوروبا الكاثوليك في قيام حركة مضادة لحماية الكاثوليكية ضد البروتستانت، ورغم الضغوط الكبيرة لم تفلح الحركة المضادة بل بقي المذهب البروتستانتي موجود حتى هذا الوقت.

- أدت حركة الإصلاح الديني إلى بروز الشعور القومي الأوروبي وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية أدت إلى معرفة الإنسان العادي بتعاليم السيد المسيح بعد أن كانت حكراً على طبقة رجال الدين، ووجد الشعب الأوروبي بأن الكثير من التعاليم التي كان يطرحها رجال الدين كانت مغلوطة وتصب في مصلحتهم المادية.

Reference

1. Abu Aliya AF, Yaghi IA. Modern and contemporary history of Europe. 3rd ed. Riyadh: Mars Publishing House; 1993.
2. Al-Adhami MM. The history of modern Europe from the Renaissance to the French Revolution 16-18 AD. College of Education, Al-Mustansiriya University; n.d.
3. Al-Baalbaki M. Dictionary of Al-Mawrid Notables: An Encyclopedia of Biographies of the Most Famous Arab and Foreign Figures, Ancient and Modern. 1st ed. Beirut: Dar Al-Ilm Lilmilliin; 1992.
4. Al-Batriq AH, Nawar AA. Modern European history from the Renaissance to the late Eighteenth century. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi; 1997.
5. Al-Gamal SA, Abdel-Razzaq A. The history of Europe from the Renaissance to the Cold War. Cairo: Egyptian Publications Distribution Office; 2000.
6. Al-Megrahi M. Modern European history 1453-1848. 1st ed. Benghazi: Qar Younis University; 1996.
7. Al-Zaidi M. Encyclopedia of modern and contemporary European history. 3rd ed. Jordan: Dar Osama for Publishing and Distribution; 2009.
8. Berenguer J, Contamine P, Durand Y, Raab F. Encyclopedia of general European history from the beginning of the fourteenth century to the eighteenth century. Part 2. Translated by Al-Baini W. Supervised by Antoine Al-Hashem. 1st ed. Beirut–Paris: Oweidat Publications; 1995.
9. Eire CMN. Reformation: Global Perspectives. New Haven: Yale University Press; 2016.
10. Fisher H. The origins of modern European history from the European Renaissance to the French Revolution. Translated by Ismat Rashid Z, Ahmed Abdel Rahim M. 3rd ed. Egypt: Dar Al-Maaref; 1961.
11. Hatoum NA. History of the European Renaissance. Damascus: Dar Al-Fikr; 1985.
12. Ismat Z. The History of Modern Europe from the Beginning of the Sixteenth Century to the End of the Eighteenth Century. Part 1. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi; n.d.
13. Juniper S. Christianity: Its Origins and Development. Translated by Mahmoud AH. 1st ed. Beirut: Modern Library Publications; 2008.
14. Lawyer MF. History of the Ottoman Empire. Beirut: Dar Al-Jeel; n.d.
15. MacCulloch D. The Reformation: A History. New York: Viking; 2011.
16. Nawar AS, Gamal El-Din M. Modern European history from the Renaissance to World War I. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi; 1999.
17. Noll MA. America's God: From Jonathan Edwards to Abraham Lincoln. New York: Oxford University Press; 2006.
18. Omar AA. Studies in modern European and American history. Alexandria: University Knowledge House; 1992.
19. Omar AA. Modern European and American history. Alexandria: University Knowledge House; 2000.
20. Ramadan AA. The history of Europe and the world in the modern era from the rise of the European Bourgeoisie to the Cold War. Part 1: From the rise of the European Bourgeoisie to the French Revolution. Cairo: Egyptian General Book Authority; 1997.
21. Saleh MM. The History of Europe from the Renaissance to the French Revolution 1500-1789. Baghdad: College of Arts, University of Baghdad; 1981.
22. Yahya J. Europe in modern times. Alexandria: Al-Fajr, Egyptian General Book Authority; 1981.